التوحيد

للشيخ الجليل الأفضل

الصدوق

أبي جعفر محمد بن علي بن الحسين بن بابويه القمي

المتوفى سنة ٣٨١ هـ

دار الصفوة

بيروت - لبنان

دار المعرفة
بيروت

ربّه ، وقال : قال رسول الله ﷺ : كلّ مولود يولد على الفطرة . يعني على المعرفة بأنّ الله عزّ وجلّ خالقه ، فذلك قوله : « و لئن سألتهم من خلق السموات و الأرض ليقولنّ الله » . (١)

١٠ ـ حدّثنا أبو أحمد القاسم بن محمد بن أحمد السرّاج الهمدانيّ ، قال : حدّثنا أبو القاسم جعفر بن محمد بن إبراهيم السرنديبيّ ، قال : حدّثنا أبو الحسن محمد بن عبدالله بن هارون الرّشيد بحلب ، قال : حدّثنا محمد بن آدم بن أبي إياس (٢) قال : حدّثنا ابن أبي ذئب ، عن نافع ، عن ابن عمر ، قال : قال رسول الله ﷺ : « لا تضربوا أطفالكم على بكائهم فإنّ بكاءهم أربعة أشهر شهادة أن لا إله إلّا الله ، وأربعة أشهر الصلاة على النبيّ وآله ، وأربعة أشهر الدّعاء لوالديه . (٣)

٥٤ ـ باب البداء (٤)

١ ـ أبي رحمه الله ، قال : حدّثنا محمد بن يحيى العطّار ، عن أحمد بن محمد بن عيسى ،

---

(١) لقمان : ٢٥ و الزمر : ٣٨ .

(٢) في نسخة (و) و حاشية نسخة (ه) محمد بن آدم بن أبي اناس ، و في نسخة (د) و (ب) « محمد بن أكرم بن أبي اياس » .

(٣) الحديث الرابع من الباب الرابع المنحدمع الحديث السابع من الباب العاشر يناسب هذا الباب ويبينه بعض البيان .

(٤) البداء في أصل اللغة بمعنى الظهور ، و قد اكتسب في الاستعمال اختصاصاً في ظهور رأى جديد في أمر ، و لذلك لم يذكر في اللفظ فاعل الفعل ، يقال : بدالي في كذا أي بدالي فيه رأى جديد خلاف ماكان من قبل ، و لازم ذلك عدم الاستمرار على ماكان عليه سابقاً من فعل أو تكليف للغير أو قصد لشيء ، ولايستلزم هذا الظهور وعدم الاستمرار الجهل بشيء اوالندامة عماكان عليه اولا ، بل هو أعم لان ظهور الرأى الجديد قديكون عن العلم الحادث بعد الجهل بخصوصيات ماكان عليه أو ماانتقل اليه و قديكون لتغير المصالح والمفاسد والشروط والقيود والموانع فيهما ، نعم ان الغالب فيناهو الاول فيتبادر عند الاستعمال الجهل والندامة ، ـــه

عن الحجّال، عن أبي إسحاق ثعلبة، عن زرارة، عن أحدهما يعني أباجعفر وأباعبدالله عليهما السلام قال: ما عبدالله عزّ وجلّ بشيء مثل البداء.

← و أما بحسب مفهوم اللفظ فلا، فاسناد البداء الى الله تعالى صحيح من دون احتياج الى التوجيه، ومعناه في حقه تعالى عدم الاستمرار والابقاء لشيء في التكوين أو التشريع باثبات مالم يكن و محو ما كان، ولا ريب أن محو شيء أو اثباته يدور مدار علته التامة و مباديه في الملكوت بان يثبت بعض اسبابه وشرائطه أو يمحي أو يثبت بعض موانعه أو يمحى، وذلك الى مشيته وارادته التابعة لعلمه فانه تعالى كل يوم في شأن من احداث بديع لم يكن ويمحو ما يشاء و يثبت وعنده ام الكتاب ولكل أجل كتاب، وهذا ممالاارتياب فيه ولااشكال، ومن استشكل فيه من الاسلاميين أوغيرهم فانما هو لسوء الفهم وفقد الدرك.

وانما الكلام فيما أخبرالله تعالى أوأحد الانبياء والاوصياء عن وقوعه محدوداً بحدود و موقوتاً بأوقات ولم يقع بعدكذلك ثم أخبر عنه مخالفاً لماحد ووقت أو يظهر مخالفاً له من دون اخبار كمواعدة موسى على نبينا وآله وعليه السلام وذبح اسماعيل على نبينا و آله و عليه السلام و قوله تعالى: « فنول عنهم فما أنت بملوم » و اخبار عيسى على نبينا وآله وعليه السلام بموت عروس ليلة عرسها ولم تمت و اخبار نبي من أنبياء بني اسرائيل بموت ملك و لم يمت و غير ذلك مما هو مذكور في مواضعه.

و أحق ما قيل في الجواب ما ذكر في كلمات أئمتنا صلوات الله عليهم أن من الامور أموراً موقوفة عندالله تعالى يقدم منها ما يشاء ويؤخر ما يشاء و علم ذلك كله عنده تعالى ويقع علم تلك الامور عند مدبرات الامور من الملائكة وغيرهم فيخبرون عنها مع جهلهم بالتوقف أو سكوتهم عنه مع العلم كما سكت عنه الله تعالى كما هو الشأن في ائمتنا صلوات الله عليهم بتأييدي لان علمهم فوق البداء لانهم مادن علمه وان كان ظاهر بعض الاخبار على خلاف ذلك، فيقال عند ذلك: بداله تعالى في ذلك الامر لان الله تعالى غير الامر عما أخبر به أولا بالارسال، وان شئت فقل انه تعالى أو غيره أخبر عن الامر بحسب علته الناقصة مع العلم بعلته التامة و وقوعها أوعدم وقوعها.

ثم ان اختصاص العلم الكامل بالامور بنفسه وبصفوة خلقه و وقوع العلم الناقص عند العاملين في ملكوته و بعض خلقه من لوازم كبريائه و سلطانه كما هو الشأن عند السلطان ←

٢ ـ حدّثنا محمّد بن الحسن بن أحمد بن الوليد رحمه الله قال : حدّثنا محمّد بن الحسن الصفّار ، عن أيّوب بن نوح ، عن ابن أبي عمير ، عن هشام بن سالم ، عن أبي عبدالله عليه السلام ، قال : ما عُظّم الله عزّ وجلّ بمثل البداء .

٣ ـ حدّثنا محمّد بن عليّ ماجيلويه رضي الله عنه ، قال : حدّثنا عليّ بن إبراهيم ، عن أبيه ، عن ابن أبي عمير ، عن هشام بن سالم ، عن محمّد بن مسلم ، عن أبي عبدالله عليه السلام ، قال : ما بعث الله عزّ وجلّ نبيّاً حتّى يأخذ عليه ثلاث خصال : الإقرار بالعبوديّة ، وخلع الأنداد ، وأنّ الله يقدّم ما يشاء ويؤخّر ما يشاء .

٤ ـ وبهذا الإسناد ، عن هشام بن سالم وحفص بن البختري وغيرهما ، عن أبي عبدالله عليه السلام في هذه الآية « يمحوا الله ما يشاء ويثبت » [1] قال : فقال : وهل يمحو الله إلاّ ما كان وهل يثبت إلاّ ما لم يكن ؟ ! .

٥ ـ حدّثنا حمزة بن محمّد العلويّ رحمه الله قال : أخبرنا عليّ بن إبراهيم بن هاشم ، عن أبيه ، عن ابن أبي عمير ، عن مرازم بن حكيم ، قال : سمعت أباعبدالله عليه السلام يقول : ما تنبّأ نبيّ قطّ حتّى يقرّ لله عزّ وجلّ بخمس : بالبداء والمشيّة والسجود والعبوديّة والطاعة .

٦ ـ حدّثنا حمزة بن محمّد العلويّ رحمه الله ، عن عليّ بن إبراهيم بن هاشم ،

← مع عمال حكومته ، ولذلك ما عبدالله و ما عظم بمثل البداء لان المعتقد بالبداء معتقد كمال كبريائه و عظمته ، والى هذا أشار الامام عليه السلام على ما روى في تفسير القمي في قوله تعالى : « وقالت اليهود يدالله ـ الخ » قال : قالوا : قد فرغ الله من الامر لا يحدث الله غير ما قدره في التقدير الاول فردالله عليهم فقال : « بل يداه مبسوطتان ينفق كيف يشاء » أي يقدم و يؤخر ويزيد وينقص وله البداء والمشيئة . انتهى . نفى عليه السلام ببيانه هذا اتحاد ما في التقدير مع ما يقع ، واليه اشير أيضاً في قولهم عليهم السلام : « ان لله عزوجل علمين علماً مخزوناً مكنوناً لايعلمه الا هو من ذلك يكون البداء ، وعلما علمه ملائكته ورسله » .

(١) الرعد : ٣٩ : أي يمحو الله ما يشاء مما ثبت في كتاب التقدير عند عمال الملكوت ويثبت مكانه أمراً آخر ، وعنده ام الكتاب ، التي اليها يرجع امر الكتاب في المحو والاثبات .

عن الريّان بن الصلت ، قال : سمعت الرّضا عليه السلام يقول : ما بعث الله نبياً قطّ إلاّ بتحريم الخمر ، وأن يقرّ له بالبداء .

٧ ـ حدّثنا عليّ بن أحمد بن محمّد بن عمران الدّقّاق رحمه الله ، قال : حدّثنا محمّد بن يعقوب ، قال : حدّثنا عليّ بن إبراهيم ، عن محمّد بن عيسى ، عن يونس بن عبدالرّحمن ، عن مالك الجهنيّ قال : سمعت أباعبدالله عليه السلام يقول : لو يعلم الناس ما في القول بالبداء من الأجر ما فتروا عن الكلام فيه .

٨ ـ وبهذا الإسناد ، عن يونس ، عن منصور بن حازم ، قال : سألت أباعبدالله عليه السلام هل يكون اليوم شيء لم يكن في علم الله تعالى بالأمس ؟ قال : لا ، من قال هذا فأخزاه الله ، قلت : أرأيت ما كان وما هو كائن إلى يوم القيامة أليس في علم الله ؟ ! قال: بلى قبل أن يخلق الخلق .

٩ ـ حدّثنا عليّ بن أحمد بن محمّد بن عمران الدّقّاق رحمه الله ، قال : حدّثنا محمّد بن يعقوب ، عن الحسين بن محمّد بن عامر ، عن معلّى بن محمّد ، قال : سئل العالم عليه السلام كيف علم الله ؟ قال : علم ، وشاء ، وأراد ، وقدّر ، وقضى ، وأبدى [1] فأمضى ما قضى ، وقضى ما قدّر ، وقدّر ما أراد ، فبعلمه كانت المشيّة ، وبمشيّته كانت الإرادة ، وبإرادته كان التقدير ، و بتقديره كان القضاء ، وبقضائه كان الإمضاء ، فالعلم متقدّم المشيّة ، و المشيّة ثانية ، والإرادة ثالثة ، والتقدير واقع على القضاء بالإمضاء ، فلله تبارك وتعالى البداء فيما علم متى شاء وفيما أراد لتقدير الأشياء ، فإذا وقع القضاء بالإمضاء فلا بداء ، فالعلم بالمعلوم قبل كونه ، والمشيّة في المنشأ قبل عينه ، والإرادة في المراد قبل قيامه ، والتقدير لهذه المعلومات قبل تفصيلها وتوصيلها عياناً وقياماً . و القضاء بالإمضاء هو المبرم من المفعولات ذوات الأجسام [2] المدركات بالحواسّ من ذي لون و ريح و وزن و كيل و مادبّ و درج من إنس و جنّ وطير و سباع و غير ذلك

(١) في الكافي والبحار : « أمضى » مكان « أبدى » و هو الاصح ، و ان كان المآل واحداً .

(٢) في نسخة (د) و(ن) «من المعقولات ذوات الاجسام» .

ممّا يدرك بالحواسّ ، فللّه تبارك وتعالى فيه البداء ممّا لاعين له ، فإذا وقع العين المفهوم المدرك فلابداء ، والله يفعل مايشاء ، وبالعلم علم الأشياء قبل كونها ، وبالمشيّة عرف صفاتها وحدودها وأنشأها قبل إظهارها [١] وبالإرادة ميّز أنفسها في ألوانها و صفاتها وحدودها ، وبالتقدير قدّر أوقاتها [٢] وعرف أوّلها وآخرها ، وبالقضاء أبان للنّاس أماكنها ودلّهم عليها ، وبالإمضاء شرح عللها [٣] وأبان أمرها ، وذلك تقدير العزيز العليم.

قال محمّد بن عليّ مؤلّف هذا الكتاب أعانه الله على طاعته : ليس البداء كما يظنّه جهّال النّاس بأنّه بداء ندامة تعالى الله عن ذلك ، ولكن يجب علينا أن نقرّ لله عزّ وجلّ بأنّ له البداء ، معناه أنّ له أن يبدأ [٤] بشيء من خلقه فيخلقه قبل شيء [٥] ثمّ يعدم ذلك الشيء ويبدأ بخلق غيره ، أو يأمر بأمر ثمّ ينهى عن مثله أو ينهى عن شيء ثمّ يأمر بمثل ما نهى عنه ، وذلك مثل نسخ الشرايع و تحويل القبلة وعدّة المتوفّى عنها زوجها ، ولايأمر الله عباده بأمر في وقت ما إلّا وهو يعلم أنّ الصلاح لهم في ذلك الوقت في أن يأمرهم بذلك ، ويعلم أنّ في وقت آخر الصلاح لهم في أن ينهاهم عن مثل ماأمرهم به ، فإذا كان ذلك الوقت أمرهم بما يصلحهم ، فمن أقرّ لله عزّ وجلّ بأنّ له أن يفعل مايشاء ويعدم مايشاء و يخلق مكانه ما يشاء ، و يقدّم مايشاء و يؤخّر ما يشاء ، ويأمر بما شاء كيف شاء فقد أقرّ بالبداء ، وما عظّم الله عزّ وجلّ بشيء أفضل من الإقرار بأنّ له الخلق والأمر ، و التقديم ، والتأخير ، وإثبات مالم يكن و محو ماقد كان ، والبداء هو ردّ على اليهود لأنّهم قالوا : إنّ الله قد فرغ من الأمر فقلنا :

---

(١) قوله : «أنشأها» على بناء الماضي عطف على عرف ، و في أكثر النسخ على بناء المصدر فمع ما بعده مبتدء وخبر .

(٢) في نسخة (ب) و(ج) و(و) و(ه) «قدر أقواتها» .

(٣) في نسخة (و) «شرع عللها» .

(٤) لايتوهم من هذا أنه أخذ البداء مهموزاً فليتأمل في ذيل كلامه .

(٥) في نسخة (ب) و(د) «أن يبدأ بشيء فيجعله قبل شيء» .

إنّ الله كلّ يوم في شأن، يحيي ويميت ويرزق ويفعل مايشاء، والبداء ليس من ندامة، و إنّما هو ظهور أمر، يقول العرب: بدالي شخص في طريقي أي ظهر، قال الله عزّ وجلّ: « وبدا لهم من الله مالم يكونوا يحتسبون »[1] أي ظهر لهم، ومتى ظهر لله تعالى ذكره من عبد صلة لرحمه زاد في عمره، ومتى ظهر له منه قطيعة لرحمه نقص من عمره، ومتى ظهر له من عبد إتيان الزّنا نقص من رزقه وعمره، ومتى ظهر له منه التعفّف عن الزّنا زاد في رزقه وعمره.

١٠ـ ومن ذلك قول الصادق عليه السلام: مابدا لله بداءٌ كما بدا له في إسماعيل ابني، يقول: ما ظهر لله أمر كما ظهر له في إسماعيل ابني إذ اخترمه قبلي ليعلم بذلك أنّه ليس بإمام بعدي.

١١ـ وقد روي لي من طريق أبي الحسين الأسديّ رضي الله عنه في ذلك شيء غريب، وهو أنّه روى أنّ الصادق عليه السلام قال: ما بدا لله بداءٌ كما بداله في إسماعيل أبي إذا أمر أباه إبراهيم بذبحه ثمّ فداه بذبح عظيم، وفي الحديث على الوجهين جميعاً عندي نظر، إلاّ أنّي أوردته لمعنى لفظ البداء والله الموفّق للصواب[2]

٥٥ ـ باب المشيئة والارادة

١ ـ أبي رحمه الله، قال: حدّثنا سعد بن عبدالله، عن أحمد بن محمّد، عن أبيه عن محمّد بن أبي عمير، عن عمر بن اُذينة، عن محمّد بن مسلم، عن أبي عبدالله عليه السلام قال: المشيّة محدثة[3].

---

(١). الزمر: ٤٧.

(٢) لاإشكال في الروايتين، وهو من القسم الثالث من البداء على ما ذكرنا فراجع.

(٣) تقدم هذا الحديث بعينه في الباب الحادي عشر من الكتاب، و مشيئة الله تعالى تارة تؤخذ باعتبار تعلقها بأفعاله تعالى فهي عند الحكماء وأكثر المتكلمين قديمة من صفات الذات وعند ائمتنا صلوات الله عليهم وبعض المتكلمين كالمفيد حادثة من صفات الفعل على ما يظهر من أحاديث جمة في هذا الكتاب في هذا الباب والباب الحادي عشر والباب السادس ←